90 يوم سعادة ..

(1)

السماء تمطر من أجلنا ..

السماء ممطرة اليوم .. ومع هذا كلانا لا تشعر بالبرد ، وكيف لا ونحن اللتان كنا ننتظر المطر بفارغ الصبر ، فالشتاء بالنسبة لنا كالخريف للشجر تتساقط به احزاننا استعدادا لبداية جديدة ، المطر هو موسم الجنون الذي نستعد له بلهفة وشوق لنفرح ونجن ونتراقص تحته لتركض كسجين اطلق سراحه بعد مئة عام .. احببنا المرض لدرجة انا ظننا بان السماء تمطر من اجلنا..

- يجب علي ان اعود الآن واه كم تمنيت لو أبقى هنا ليتك جارتي لأبقي بجوارك دوما ، لكن أعدك بأني سأزورك مرة أخرى فأنا لم أخبرك بكل ما حصل بعد رحيلك ، ليتني أخبرتك !!
- لكني لم أعرف يوما بأن الموت سيسرقك مني بهذه السرعة ،،

• يا الهي نسيت ان اقرأ الفاتحة ، لا تحزني لم أتقبل للآن حقيقة انك ميتة ، فأنتي حية في قلبي ..

الشارع مزدحم بالسيارات ولكن ما الجديد هو كذلك دوما ، لم يتغير ربما انا من اعود للحياة كغريبة بعد كل زيارة لقبرها ،

- سيدي هل توصل للمجمع ؟
- اجل ، اصعدي بسرعة ..
- لماذا تبتسمي ! "سيدة تجلس بقربي بالحافلة "
- ولما لا ابتسم سيدتي ؟
- ثيابك مبتلة ألا تخافين من المرض ؟
- لا أبد ، أخاف من البشر فهم الأمراض الحقيقية .

لا أدري لماذا استمرت السيدة بالنظر لي بغضب أنا لم أقصدها "دائما أضع نفسي في ورطة "

(2)

حيث أجد ذاتي ..

- عدت متأخرة اليوم أين كنت ؟
لا بد أنك بقيتي تحت المطر كعادتكما ، آسفة أقصد عادتك .
- لا بأس أمي و كنت حيث أجد ذاتي .
- أما مللت زيارتها ! مر ستة أشهر،
- كلا ولن أفعل أبدا .
- لكنك اليوم تبدين بحال أفضل، لا أثار للكحل تحت عيناك، ألم تبكيها ؟
- كلا ولن أبكيها مجددا كي لا تحزن.
- سأخلد للنوم، تصبحين على خير.
- من الآن ؟
- أجل فمن غدا ستعود ال٩٠ يوم سعادة.

(3)

- لم أخاف من الموت ،

قديما كنت أعتقد عند موت أحدهم بأن العالم بأسره سيلاحظ ذلك ، ولكن بعد الأحداث من حولي علمت بأن الموت لم يعد يعني شيئا ، وكأن روح البشر باتت رخيصة ، لا ليس هي من رخصت بل نحن من تغيرنا كثيرا .
لم أخافك يا موت فماذا يعني إن مت اليوم أو حتى بعد مئة عام ، هل سيشعر أحد أن هناك روح ذهبت لا عودة !!
الموت بالنسبة لي قدر لا بد من أعيشه ولا يهمني ما سيحدث بعدي ، فالعالم سيستمر وكأن قطرة ماء نقصت من بحر سيأتي غيرها ويغطي غيابها ، " هذا ما كنت اعتقده "

وهذا أيضا ما خطر ببالي حين قال لي الطبيب فادي بأني لن أعيش لأكثر من ٩٠يوم ،" هذا إن كان جسدي قويا "
في اللحظة التي كان يزف إلي خبر وفاة احدهم كنت أحزن وبشدة، حتى لو لم أكن أعرفه، كان أكثر ما يؤلمني أولئك الذين تركهم بعده .

لكن لا أدري لما لم أحزن عندما قال لي الطبيب أنني لن أعيش طويلا بسبب ذلك المرض ، بالمناسبة لما يتجنبون دائما ذكر اسمه وكأن لعنة ما ستصيبهم عند ذكر اسمه !!

- لم أشعر حينها سوى بقشعريرة في جسدي ، كتلك التي تصيبني كلما تعرضت للخطر ، ربما لأن الموت حين يقرب منا ننكره وننسى بأننا لسنا مخلدون .

ونقول: أيعقل أن أموت ؟!؟!

- أيعقل أن أموت ؟
- يارا ما بك تحدثين نفسك ؟
- لا شيء أمي .
- ماذا أخبرك الطبيب عن الفحوصات ؟
- جيدة ، أنا بخير والحمد الله .
- الحمد الله .
- سأنام قليلا فقد تعبت اليوم .

لم يكن باستطاعتي إخبار احد وبالذات أمي ، فقد تغيرت كثيرا بعد موت والدي أصبحت تخاف علي وعلى جدتي أكثر من أي شيء ، أعلم أنها لن تتحمل خسارة جديدة .. ولم أكن أريد أن يعاملني الجميع كشخص سيرحل عما قريب ، لا أريد أن أموت في أعينهم قبل أن أموت ، ان كان لابد من موتي فأريده دون ألم لأي أحد .

- مرحبا ، لماذا تجلسين وحدك ؟
- أحتاج الجلوس وحدي ؟

- قالت أمك بأن الفحوصات جيدة .
- أجل الحمد الله .
- ما بك إذن !
- حياة ، هل يموت الانسان فقط اذا مرض ؟
- لا ، الموت واحد والاسباب متعددة .
- جيد أنك تعرفين هذا .
- ما بك ، وكأنك ستزفين لي خبر موت أحدهم .
- لا لا ، فقط أردت أن أسمع هذه الكلمات منك .
- سأخبرك بشيء ، كما تعلمين أن العطلة طويلة لهذا سأذهب بزيارة والدي بالخليج ، تعلمين يا يارا أنا أشتاقه جدا لم أراه منذ أن انفصل عن والدتي .
- أقول لها أو لا أقول ، ماذا أفعل أأخبرها أن تبقى لا لن أقول أريدها كلما تذكرتني أن ترى ذاك الوجه الذي لا يحزن أبدا ..
- جئت لوداعك غدا سأسافر .
- حياة عديني بأنك لن تنسيني، لما تضحكين .
- لأنك تحدثيني وكأنني لن أعود أبد !
- "ستعودين ولكن لن تجديني "

عانقتك يوما وكأنني لم أراك من سنين ، وبكيت بكينت حتى جفت دموع الأرض ، واجتمعت في عيناي .

(4)

أفضل الموت بحضن أمي ،

أخبرني الطبيب ، لحظة أنا لم أخبرك عن الطبيب فادي ، بالرغم من أنه وسيم الا أنني أكره الذهاب اليه لأنه يبدو غاضبا دائما ولا يبتسم أبد وكأنه في جنازة ،
ماذا كنت سأقول ، أجل أجل قال لي بأن هناك عملية نسبة نجاحها 20 % ربما قد أشفى ان استيقظت منها .

- ماذا هل سأضع ما تبقى من أيامي تحت احتمال بسيط ! لا مستحيل ، أن أعيش ما تبقى لي وأنا أتنفس بشكل طبيعي أفضل من أن أموت تحت هذه الأجهزة التي لن تشعر بي، أفضل الموت في حضن أمي ..

أمي كم تمنيت أكبر وأصبح مثلها ، هي ليست مثالية لكنها رائعة بما يكفي لتبهر الجميع .

- سافرت حياة ؟
- أجل أمي .
- أمي ، لما لم تسميني حياة ربما كنت سأعيش أكثر ،

- لا تقولي هذا ، أسمك أجمل بكثير أتدرين أبوكي دائما يغني لي يارا ، لأني شعري أشقر . لماذا تضحكين يا بنت ؟
- لأني أشعر أن حبا كهذا انقرض في ايامنا
- العطلة طويلة ماذا ستفعلين ؟
- لا أعلم لم أقرر للأن ، أمي لماذا لم تنجبي غيري، ليت أبي عاش أكثر .
- لماذا فقط ليكون لك أخوة .
- لا ليكون لي صدر دافئ أرتمي عليه اذا ما حزنت .
- وأنا أين ذهبت ؟
- أمي كل شيء متكئ عليك ألا تكفي جدتي !
- وبما بي يا حفيدتي المشاغبة ؟
- ها أنت دائما تأتين بمنتصف الحديث ، أنا فقط أقول أنك تغيرت منذ وفاة والدي أصبحت تشبهينني كثيرا .
- يا ويلي أصبح لدي طفلتان .
- أمي ، جدتي ، منذ الغد سأذهب لمركز لعناية مرضى السرطان .

في هذه اللحظة نظرتا الي وكأنهما شعرتا بشي ولاحظت رجفة في صوت أمي عندما سألتني :" لماذا هل أنت مريضة هل كذبت بشأن الفحوصات "

تمنيت لو أني أستطيع اخبارها لكن قلب كقلب أمي ملئ بالحزن لا يستحق الحزن أكثر .

كما أن هناك عاطفة أمومة ، وهناك أمهات يخفن على أولادهن ، هناك أولاد أهون عليهم الموت من أن تحزن أمهاتهم .

- أمي لا تقلقي أنا بخير ، أريد أن أذهب لاسعاد الاطفال ألم تقولي يوما لجدتي : يارا قادرة على اضحاك الحجر "
- الحمد الله ، لقد كاد قلبي أن يتوقف .
- لا تخافي أنا بأفضل حال الحمد الله .

في ذلك اليوم نمنا نحن الثلاثة مع بعضنا ، وبدأت جدتي تروي لنا عن صباها ومعجبيها ، ولم أتعجب فامرأة بجمالها وذكائها تعجب أي احد .
لم أشعر يوما أنها جدتي بل دائما كنت أحس بأنها صديقتي ، كانت تعتني بنفسها لدرجة انها تظهر أصغر من أمي ، لم تتوقف يوما عن حب الحياة ، هي ذلك الشخص الذي ابتسامته تختصر قصة أمل وتمنح أمل جديد ..
-يا ترى أين حياة الآن ؟
نامي الآن وغدا تحادثيها .
- قلت لنفسي " لا لن أفعل لا بد أن تعتاد غيابي عنها "

صباح هادئ ، صوت جدتي وهي تتلو القرآن وجه أمي ، ورائحة القهوة ، ما أجمل هذا الصباح .
بالنسبة لشخص يودع الحياة لا بد بأن كل يوم تشرق بها الشمس على عيناي أتأكد بأن الله منحني فرصة جديدة لأقترب من حلمي ، لأمثل ذاتي ، لأمنح فرح للأخرين .

منذ أن أصابني المرض أصبح وداعي لأمي وجدتي مختلفا ، كنت أودعهما كل يوم وكأنني لن أعود .

- تكسي .

- الى أين ؟
- مركز السرطان للأطفال .
- هل أنت ...
- لا ، انا بخير .

(5)
غرفة بلون الأرجوان

طبيب فادي صمت طويلا قبل أن يخبرني بنتائج الفحوصات ،

- سيدي هل الفحوصات ليست جيدة ؟
- سأخبرك بشيء، لكن كوني قوية ففتاة بعمرك لا تحتمل كل هذا الحزن .
- حزن ، هل أنا ..
- أجل للأسف ، بذلك المرض .
- سأموت أليس كذلك .
- كلنا سنموت ، بصراحة لن يستطيع جسدك التحمل أكثر من ثلاثة أشهر .
- لا تقل ثلاثة أشهر بل قل ، ٩٠يوم هكذا أشعر بأنها أطول .

- هناك عملية نسبة نجاحها ٢٠ % قد تشفي أن أجريتها .
- سأنجو فقط أن كتب الله لي العمر الطويل ، أنا فقط أريد أدوية لتسكن الالم .
- لكن هكذا ستفقدين فرصة النجاة .
- سيدي ان كتب الله أموت بهذه الفترة فأنا لا أريد أن أموت وأنا ضعيفة أريد أن أحقق ما حلمت به ، ولن أخذ العلاج الكيماوي لأذبل كزهرة ماتت قبل أوانها .

٩٠ يوم ، فقط ٩٠ ، حين تشعر بأن الموت أقترب تصبح حياتك كحبات مسبحة ستفرط وتتساقط أمام عيناك ، أيامي التي ستذهب لن أستطيع ارجاعها ، القوة التي كانت قد أنعشت روحي لحظتها كانت أكبر من ذلك الورم في رأسي الذي سيسرق مني عمري ، وكأن شعاع من أمل أمتد نحوي وأخذني الي ، الى نفسي التي تشبهي التي بحثت عنها طويلا وكان لا بد من أن أقرب مني "مني "
ان كنت سأعيش ٩٠ يوم فقط سأقضيها وأنا سعيدة ، دائما كان هدفي أن أسعد من حولي ، هذا ما تعلمته من أمي .
في كل مرة تفقد فيها السعادة لا تجعلها تذهب للمجهول أمنحها للأخرين .
٩٠ يوم لن أحزن بها أبد ، لا بد أن تكون ٩٠ يوم سعادة ، أن تذكرني أحد لا أريده أن يحزن ابتسامة الاخرين عند تذكري تسعدني .

- ها قد وصلنا يا أنسة .

- تفضل الحساب ، يعطيك العافية .
- الله يعافيك .
- "يا رب "

مركز السرطان ، لا أدري لماذا كلما كان أحد يذكر هذا المكان أمامي كنت أظنه مليئا بالموت ، لكن عندما دخلته وجدته مليئا بالحياة .
بعض الامور في حياتنا مهما وصفها لنا الاخرين لا بد أن تقترب منها لنعرف حقيقتها ، كل شيء هنا مختلف وحقيقي ، وجميل ، الامل المنتشر في زوايا العرف الابتسامات التي تشتق طريقها من وسط الالم ، الجميع هنا كان كأسرة واحدة ، لكن ما زاد استغرابي هو أن حياة لم تغب عن مخيلتي منذ أ دخلت هنا ، كنت متعجبة لم تكلمني هي !! هناك شيء لا أعرفه ويخيفني عليها ، قررت أن أتصل من هاتف عام فقط أردت سماع صوتها ، ولكن كان هاتفها مغلقا !!!
- يا أنسة هل أنت يارا التي أتصلت بالأمس .
- أجل أنا .. لقد جلبت الكثير من الهدايا للأولاد متى سأراهم ؟؟
- بعد قليل ، سيري في هذا الطريق ستجدين غرفة بلون الارجوان هذه هي غرفة اللعب .

في طريقي للغرفة كان قلبي يدق بسرعة وكأني على موعد مع شخص أحبه جدا ، كنت خائفة من لقائهم لأنهم في المكان الذي كان يجب أن أكون فيه ، وفي الشكل الذي رفضت أن أصبح عليه بسبب رفضي للعلاج ، وما

أن اقتربت من الغرفة فاذا بضحكاتهم تملأ المكان ، وتزرع ورودا في قلبي.
حجرة فيها أكثر من ٢٠ طفل بعمر الورود ، صبيان وفتيات ، ما أن دخلت حتى أتو لاستقبالي .

- مرحبا أنا يارا ، سنقضي وقتا ممتعا اليوم معا هل أنتم مستعدون .
- ساعتان متواصلتان مع الاطفال أزالتا ما في نفسي ممن قلق هنا الجميع مختلف ، كل لديه حلم ، كل يحي الاخر دون مصالح أو مجاملات ، الابتسامة بريئة والفرح حقيقي برغم الالم ، برغم المرض ، العزيمة أقوى من كل شيء .

خلف عالمنا المليء بالمغريات وشعاراتنا المزيفة والاقنعة التي يرتديها البعض ، خلف الشوارع المزدحمة ومدن الالعاب المليئة بالأطفال ، خلف صرعات الموضة ومساحيق التجميل خلف كل ما يشغلنا ، هناك بشر لا يشبهوننا ، صادقين وعفوين . يتألم أحدهم فتجد ألف يد ترعاه ، هنا الحياة كما ينبغي لها أن تكون .

- سيدتي يجب أن أذهب الآن ، هل لي بالعودة غدا ؟
- أجل لقد وافق مدير المركز على طلبك بما أن الأطفال سيكونون سعداء .
- هل بجولة في المركز .
- أجل لكنني مشغولة ، هل لكي أن تقومي بها وحدك ؟
- بالطبع ، عن اذنك .

كنت أظن أن الأطفال الذين رأيتهم اليوم هم جميع الموجودين هنا ، لكن وراء هذه الأبواب المقفلة هناك قلوب تتألم وتصارع الموت ، وأكثر ما زاد دهشتي

غرفة زجاجية فيها طفلة على فراش الموت توصي بألعابها لأصدقائها ، أي قلب أبيض تملك ، التفتت الي وابتسمت ، هنا فقط شعرت كم الحياة تافهة ، كم كنا أغبياء حين أحزنتنا أمور دنيوية يمكن أن تعوض ، كم كنا ساذجين حين فقدنا الأمل عند أول عقبة تتعرض لها ، من بين جميع البشر علمتني هذه الطفلة كيف أحب الحياة ، وكيف أغادرها وأنا أبتسم ..

(6)
ذاكرتي تسعدني وتؤلمني

مر أسبوعان لا بل ١٤ عشرة يوم ، فالأيام بالنسبة لي باتت أثمن من أي شيء ، كنت في كل مرة أذهب هناك أمر بهاتف عمومي لأحادث حياة وكان هاتفها يخيب ظنوني لأنه مغلق ،
في كل مرة كنت أعد الأطفال الذين ما زالوا قادرين على اللعب ، وعندما أجدهم نقصوا أتنمى أن غيابهم سببه أنهم تعافوا ، ولكن في بعض الأحيان كان غيابهم سببه أن المرض أصبح أكبر من قلوبهم الصغيرة ، لكنه ما زال أضعف من حبهم للحياة والفرح .

ولكن ما كان يحيرني أن هناك غرفة دائما كنت أسمع انين مريضها ولم يسمح لي أبدا بدخولها ، وكنت أتعجب لما أذهب كل يوم لها ، وحين أسمع صوت أحد فيها أطمئن أن صاحبها لم يتساقط كورقة خريف .

اليوم العشرين ،

- صباح الخير أمي
- صباح الخير تأخرت اليوم في النوم
- أجل كنت مرهقة ، أمي هل تلاحظين بأني يبدو علي المرض أو التعب أو أي تغير يظهر على شكلي .
- لا لما تسألين ، أنت تبدين بأحسن حال .
- كنت أتعجب ، ان كنت حقا لن أعيش طويلا لما لا أرى الأعراض التي تظهر على الأولاد ، لما فقط ألم في معدتي . هل الأطفال أنسوني الألم ..
- أمي هل اتصلت حياة بي .
- لا ولو كنت مكانها لما فعلت ، أي قسوة تجعلك تتجاهلينها هكذا ، لقد أتصلت البارحة لأحدثها لكن هاتفها مغلق .
- أمي لا تقولي هذا ، أنا أفعل هذا من أجلها ، سأذهب الآن .
- حسنا ، ألا تلاحظين أنك أصبحت أفضل منذ أن بدأت بالذهاب هناك ؟
- أجل لقد علموني أشياء لم تستطع كل الكتب أن تعلمني اياها .
- يارا ، أنا فخورة بك ، أصبحت تشبهين والدك قلبا وقالبا .

- ما أسمك يا صغيري ، هل أنت جديد هنا ؟
- أدعى جواد .
- حقا !!
- لماذا تبتسمين هل أسمي جميل ؟
- أجل أجمل الاسماء .

أي صدفة تلك التي جعلتني ألتقي بطفل يحمل أسمك ، ولما تذكرتك الأن ، هل كنت أحتاج لصدفة كهذه لأتذكرك ، هل تذكرني ، هل تذكر تلك الفتاة المشاغبة التي كانت تختبأ عند رؤيتك أو عندما تأتي لقياس ضغط والدها ، وأنت طالب متدرب في كلية الطب ،، كم مر على أخر مرة رأيتك فيها ، كنت في الصف الحادي عشر والآن أنهيت عامي الجامعي الثاني ، أربع سنوات لا بد أنك تخرجت هذا العام فأنت تكبرني ب ٦ أعوام .. لا بد أنك تخصصت بجراحة القلب كما كنت دائما تقول لأبي ..
بقيت صامتة ذلك اليوم ، تمنيت لو أن صدفة طريق تجمني به ، فقط أريد أن أراه حتى لو لم يعرفني ، لم يغب عن بالي طيلة تلك الليلة بكيت طويلا ونسيت أني عاهدت نفسي بعدم الحزن ، ربما لأني لم أراه حين ترك أهله الحي .
كانت جدتي تقول بأن الأموات يشعرون بنا ، هل قالت هذا لتواسيني بوفاة والدي ، ولكن لما كانت تتجمل بالمساء ، كانت تخبرني بأن جدي ستراه بالحلم

ولا بد أن تكون سعيدة ، وأنها تغار عليه من النساء في المقبرة ، ولا أدري هل للميت وقت ليحب جثة بجانبه وهو الأخر جثة كم كنت أضحك حين تخبرني بذلك .
حتى أنها أخبرتني يوما أن المرء ان فكر بأحد كثيرا سيراه بالمنام ، ولكن لم يغب جواد عن بالي في أي ليلة ومع هذا لم أراه في منامي ، وكأن أحلامي كانت تريد مني نسيانه أيضا .
يا ترى أين هو الأن ، هل هناك غريبة سكنت قلبه ، الذي أصبح جزء من روحي ، وأخذت مني حبه الذي بقي سر دفين بداخلي ، هل يذكرني ، ولكن كيف له ذلك ، لم يكن لي دور في حياته ، لم تكن تجمعني به أحاديث أو مواعيد ، ولكن لما لا ، ها أنا قد جعلته جزء من ذاكرتي بالرغم من كل هذا.
هو لم يكن يوما حبيبي ، لم يكن صديقي، لم يكن من عائلتي ، بل كان كل هذه الأشياء معا ، هو روح تنسج في روحي الفرح دون أن تشعر ، هو رفيق الدرب التي لم نمشي بها الا في احلامي ..

- أما زلت مستيقظة .
- يبدوا بأن النوم هجرني الليلة .
- وأنا أيضا ، وكأنه هجر قلبي من ذلك اليوم الذي ..
- الذي توفي فيه والدي ، أمي هل حقا الأموات يشعرون بنا .
- لا أعلم ، ربما نحن من نشعر بوجودهم بالرغم من رحيلهم .
- ان مات شخص كيف سيعرف الجميع بموته ، أقصد هناك أشخاص يجب أن يعرفوا بموته .

- لا أفهم لماذا تتحدثين عن الموت كثيرا ، ثم عندما يموت المرء ماذا يستفيد ان عرف الأخرون بموته أو لا
- ربما لأن البعض لن يتذكروننا الا اذا سمعوا بخبر وفاتنا .

صممت أمي ربما أنا دائما أسألها أسئلة تعجيزية ، لكن لا أدري لما ، ربما لأننا نظن أن أهلنا هم الوحيدون القادرون على فهمنا ، دون حاجة لترتيب الكلمات قبل قولها .

مر شهر على العطلة ، وعلى سفر حياة ، وعلى أمل أن تجيب على هاتفها ، وعلى ذهابي لرؤية الأطفال . لا بل ٣٠ يوم ، ثلاثين ورقة تساقطت أمامي ، وكأنها ثلاثين عام ، كانت الأيام تبدو أطول ، وكل شيء بات أجمل .

في كل يوم كنت أستيقظ فيه وأرى وجه أمي يبتسم لي أغمض عيناي وكأنني أريد أن أخزن صورة وجهها الحنون في ذاكرتي التي ستصبح جزء من التراب ومن الطبيعة . هكذا هي ذاكرتي تسعدني وتؤلمني !!

- صباح الخير أمي ، أما زالت جدتي نائمة ؟
- صباح الفرح ، أجل قالت لي بالأمس أن لا أوقظها مبكرا فهي سترى جدك بالمنام ، كم أخاف أن تكون فقدت صوابها .
- أن كان فقدان صوابنا سيجمعنا بمن نريد ، ليتني أفقد صوابي مثلها .

- يارا ، وجهك مسود اليوم ويبدو عليك الذبول ثم ان الألم الذي في معدتك قد طال والأدوية لا تفيد ، دعيني أخذك للطبيب .
- لا ، أنا بخير سأذهب وان لم أتحسن سنذهب حين أعود .

(7)
هل كان حلم !!

- استيقظت أخيرا ، !!
- ماذا ، وهل طال نومي اليوم ، لكن أين أنا جدتي ، هذه ليست غرفتي .
- لقد نمت لأسبوع دخلت في غيبوبة ، كنا سنجن من خوفنا عليك .
- " هل كان حلم ، كل ما مررت به ، حياة والمرض والأطفال ، وجواد " ، جدتي حياة لم تسافر منذ شهر أليس كذلك .
- لا .
- هل أنت متأكدة ؟

- طبعا ، لم أخرف بعد لقد سافرت منذ شعر وأسبوع .
- اذن ليس حلم !!
- عن ماذا تتحدثين ؟
- لا شيء ، هل أخبركم الطبيب شيء ؟
- أجل أنا وأمك علمنا كل شيء ، كيف فعلتي هذا ، ألم يكن لديك سبب واحد لتتمسكي بنا وبحياتك .
- يارا هل استيقظت أخيرا ، الحمد الله كدت أجن كيف تفعلين هذا بي وبنفسك ، ولماذا ؟
- أمي فقط أردت أن تكوني سعيدة .
- سعيدة ، كيف وأنا أراكي تحاولين الانتحار أمامي ، ظننت أني أحميك من الجميع ونسيت أن أحميك من نفسك ..
- عديني بأن تتركي هذه الأدوية .
- أمي لا أستطيع .
- لماذا ألم تفكري بي وبجدتك ، وماذا عن حياة التي لم تفكري أن تحادثيها وها هي قد أغلقت هاتفها لا بد أنها غاضبة منك !!
- أمي كفى أرجوك .
- الحمد الله لقد صحوتي أخيرا .
- انا بخير ، متى سأخرج من هنا سيدي الطبيب .
- لماذا ؟
- لأنني أكره البقاء بالمشفى .
- ولا تكرهين الموت .
- ومن منا لا يكرهه .
- حسنا ، بعد قليل سيأتي طبيب لمحادثتك ، كوني صريحة معه .
- طبيب ماذا ، لا تقل أنه طبيب نفسي .

- أجل لا بد أن نحل المشكلة .
- أي مشكلة أنا لست مجنونة .
- لا لم أقل هذا لكن يبدوا أنك مررت بوقت عصيب ستر تاحين حين تخبريه ، الآن يجب أن ترتاح هلا خرجتم ؟
- حسنا ، يارا أنا بالخارج أن أردت شيء ناديني
- حسنا أمي .

احتضننتني أمي وكأنها تريد اعادتي الى رحمها مرة أخرى ..
كان علي الانتظار نصف ساعة ليأتي الطبيب ، تمنيت أن أغلق عيناي مرة أخرة وأستيقظ على فراشي في منزلي ، صوت جدتي وأمي في الصباح وحياة التي تقفز علي سريري لتوقظني ، وان أعود في المساء وأقف خلف الباب لأشتم رائحة الطعام الذي تعده أمي ، أن أطرق جرس المنزل وأختبئ وتبدأن بالبحث عني وتعلو ضحكاتنا المكان ، وجه أبي الذي كلما نظرت الى نفسي بالمرآة تذكرته ، فالغرفة هنا لا تروق لي لا مرآة فيها ولا زهور ، ولا حياة !!
لكن ماذا حدث قبل مجيئي هنا ؟
في الصباح أخبرتني أمي بأنني أبدوا مرهقة ، وبعدها جاءني أتصال من المركز بأن هناك طفل يريد رؤيتي قبل أن يدخل لغرفة العمليات ، كم أكره تلك اللحظات التي أزور فيها شخص سيحدد مصيره بعد وقت قصير لأنني أحزن وكأنه انا .
ولكن لماذا انا بالذات لما لم يطلب رؤية أحد أخر ، هل أسعدته لهذا الحد ، من هو يا ترى ؟

ربما كنت أشعر بالأطفال أكثر من أي شخص أخر لأنني سأواجه المصير نفسه !
خلف نوافذ الحياة هناك أطفال لا يشبهون أولئك الذين في الحدائق والمدارس والشوارع ، ومدن الألعاب ، هناك عيون لأطفال كبروا قبل أوانهم وعاشوا ألما لا يمكن لقلوبهم الصغيرة أن تتحمله ..
ومع هذا البسمة لا تفارق وجوههم ، ما أجمل الأمل الذي علموني اياه ، وما أكبر أحلامهم ، وما أروع ايثارهم حين يكون أحدهم على فراش الموت ويوصي بأصدقائه .
كيف لشخص أن يجمع الألم والأمل في قلبه !!

- مرحبا ، أعتذر لقد تأخرت .
- لا بأس جواد يريد رؤيتك .
- جواد لم أتوقع أن هذا الطفل هو المريض ، انا ذاهبة اليه .

كان جواد أقرب الأطفال لروحي ، ليس فقط لأن أسمه ك أسم أحدهم ، لا بل لأنه لم يكن يشترك معي بالمرض ، يل كان يتيما . تماما مثلي ، ومع هذا كان ابن العشر السنوات الذي جمع الطفولة بالوعي ، كم خفت أن يكون قد حدث له شيء ، لن أتحمل أن أخسر جواد جديد .
هل هو متعب الآن ، هل يبكي ، هل غاب عن الوعي ، تخيلت أمور جعلتني أقلق عليه كثيرا في الخطوات القليلة التي خطوتها نحو غرفته .
وما أن فتحت الباب وخدته يبتسم لي ، فبكيت وها هي عيناي تخونني للمرة الثانية ولكن ، دموعي جمعت

بين الفرح والخوف ، خفت أن لا يخرج من العمليات ، وأن أفقد هذه الروح الجميلة ٬ كنت أكره الموت المحيط بحياة الأطفال وأنسى بأنه يحاصرني أنا أيضا ...

في اللحظة التي تبدأ بها بالتفكير بالأخرين تنسى همومك ، أحزانك ، قالت لي أمي يوما " أن كل حزن في قلوبنا يختفي فقط أن حل مكانه حزن أكبر ينسينا اياه أو فرح يجعلنا ننسى أي لحظة عشناها قبل أن يصيبنا "

- مرحبا يا صغيري ، لقد أتيت اليوم لرؤيتك ، ليس فقط لأنك طلبت هذا بل لأنني اشتقت لتمثيلياتك المضحة ، أنا متأكدة بأنك ستصبح نجما مشهورا يوما ما .
- عمتي يارا ، هل أستطيع أن أطلب منك طلب .
- حسنا لكن لا تقل " عمتي " فأنا أصغر منك ، ما بك تضحك أجل أنا لست كبيرة ، هيا قل لي ماذا تريد أيها المشاكس ..
- أريد زهورا كثيرة بألوان الحياة ٬ حمراء ك خدي أمي ، بيضاء كقلب أبي ، أرجوانية كلون سرير أختي ، وحمراء كلون ربطة عنق ذاك العريس الذي زف أمام سيارتنا قبل أن تنقلب سيارة أبي ويموت وأمي .. لكن لا أريد زهرة سوداء ك لون الدخان الذي منعني من رؤيتهما ..
- حسنا ، سأذهب لبائع الورود وأشتري لك الكثير والكثير من الأزهار بجميع الألوان التي ذكرتها وسأحضر واحدة صفراء كلون شعر ذاك المهرج المضحك .

- لا ، أريد ورودا تقطفيها أنت بيداك ، أريد أن أشتم رائحة الطبيعة التي سأحرم من رؤيتها وأنا بالمشفى ، وأن مت ضعيها على قبري .
- لا تقل هذا أنت قوي وستعيش ان كتب الله لك الحياة .

في كل مرة كنت أذكر بها الحياة ، كنت أتذكر حياة كل أيوم أتصل من الهاتف العمومي وهاتفها مغلق وأمي أتصلت بها بعد سفرها بيوم ولم ترد ، أذن هي لم تغلقه

لأني لم أحادثها ، ما بك يا حياة ، هل أصابك مكروه أم ماذا ..

- جواد سأقطف الأزهار وأن استطعت سأعود اليوم ، أو ربما غدا .

- يارا ، لي خبر جيد بشأن جواد .
- حقا سيدتي ما هو ؟
- لقد تحسن حالته كثيرا والعملة التي سيجريها ليست خطيرة لأن وضعه تحسن كثيرا ، شكرا لك فالوضع النفسي له قد تحسن منذ مجيئك هنا .
- بل أنا من يجب أن أشكرك بأن تسمحين لي برؤية الأطفال .

(8)

ولنا في القدر مواعيد ..

في طريقي للحديقة المجاورة لحينا شعرت بأني على موعد مع لقاء ما ، فعدت للبيت ولبست أجمل ملابسي ، وخرجت ولا أدري ما ينتظرني كانت دقات قلبي تشدني الى هناك ، كنت أسير بخفة ، كفراشة تحوم بالفضاء ، من فرط السعادة ، السعادة الحقيقية التي عرفتها مؤخرا حين اقتربت ممن حولي ومن نفسي .
اخيرا وصلت ، لكن لما الحديقة مزدحمة اليوم ، هل أكتشفها الجميع فجأة ، هنا كنت أظن أن الجميع يأتون للعب والتخفيف عن النفس ، ولكن لا بد أن نضع عدسة الحياة قليلا لنرى أشياء ان لم نعرفها بأنفسنا لن يخبرنا بها الأخرون ، العائلات السعيدة الأطفال يلعبون ، البالونات الملونة ، الحلوى .
لكن خلف هذه الأشياء ولتكون موجودة هناك حزن ما هناك أطفال يبيعون السعادة لأطفال أخرين وهم لا يمتلكونها ، هناك امرأة حرمت من الأطفال فتجلس أمام المراجيح لتتخيل نفسها أما ، والغصة في قلبها ، هناك عشاق ينظرون لمقاعد فارغة قد ملأوها يوما مع أحبتهم ، وهناك أنا أتمنى صدفة تجمعني بك ، مع أنني لم أتخيل أنني سألتقيك بحديقة .

ليس كل من يقدم السعادة يملكها ، هي الشيء الوحيد الذي نستطيع منحه وهو ليس موجود معنا ، من الجميل أن تشارك الأخرين سعادتك ، لكن من النبل أن فقدتها أن تتمنى ذهابها

لغيرك ، كم من قلوب راقية حولي ، كم من أشخاص منحوني الفرح ولم يمتلكوه ..
بدأت بجمع الزهور لجواد ، ذاك الطفل الذي كان سبب أجمل صدفة ستحصل معي ، كنت سعيدة وأنا أجمعا وكأنها لأغلى شخص على قلبي .
كنت أقطف من كل لون زهرة ومع كل زهرة دعوة ، للأطفال ، حياة ، وجواد ، وأمي ، ونسيت نفسي .
ابتسامة جواد هذا الطفل ابن العشر سنوات تستحق هذه الدعوات .
لكن لا أدري سبب الصداع والألم في معدتي الذي يلازمني من أسبوع .

- عمي ، أريد قارورة ماء وبالونات لو سمحت .
- أجعلهما قارورتين ..

- يارا ، صارحيني لماذا بكيتي عندما رحل جارنا أبو جواد ،،
- سأخبرك يا حياة لكن هذا سر ، جواد أبنهم الأكبر تعرفينه ، الذي كنا نراه في طريقنا للمدرسة يحمل الثوب الأبيض ويذهب للجامعة ، الذي كان يقيس ضغط والدي ، ذو الشعر الأسود ، والبشرة الحنطية ، والحاجبان العريضان ، والنظارة اللامعة .. وعيناه اللتان تجمعان بين الأمل والفرح ..
- اجل تذكرته ، أخو سمر ألهذا لم تكوني تذهبي لزيارتهم ، كنت تخجلين منه .

- أجل لأنه بالنسبة لي مختلف وأتغير حين أراه ، خفت أن يلاحظ أحد ذلك .
- لقد شككت بالأمر ، انظري يا غبية ماذا فعلتي ها قد رحل الآن وهو لا يعرف بأنك تحبينه ..
- آه مر أربعة أعوام على رحيله .
- أما زلتي تذكرينه . !!
- في دعائي وسجودي في فرحي وحزني في وجوه الأطباء .
- أي صبر حمله قلبك .
- لا أعلم يا حياة الحمد الله انك بقربي .

كثيرة هي الصدف التي تخيلتها للقائي بجواد ، ولم اتوقع ان يكون لنا في القدر لقاء،،
- اجعلهما قارورتي .
- هذا صوت اعرفه ، لكنني اخاف ان التفت نحوه فتخيب ظنوني مرة اخرى ، ماذا افعل ز
- يارا !!

وكأن الزمن توقف بي اجل انه جواد ، هل انا في حلم ، أم أن الله استجاب دعواتي .
- ما بك هل نسيتني انا جواد جاركم القديم .
- "لا لست قديم ، أنت الحاضر والماضي والمستقبل " ، بلى تذكرتك .
- كيف حالك ، لقد كبرتي ، ما اجمل الزهور التي في يداك .
- شكرا لك ، انا بخير ..
- ما بك لماذا انت متوترة ، هل انت بخير .
- اجل انا بخير .

- هل تأتين دائما هنا ؟؟
- لا فقط حين اقرر البقاء وحدي ، وانت ؟
- منذ اربعة اعوام لم أأتي هنا .. مر زمن طويل ، كيف اصبح والدك .؟
- لقد توفي بعد شهر من رحيلك .
- آسف لم اكن اعلم ، ربما الموت كان افضل له من المرض الذي كان يعذبه ..
- اجل الحمد الله دائما ، هل تخرجت ؟
- أجل واعمل بالمشفى في الحي القريب من المدرسة ، انا سعيد جدا برؤيتك .
- يا انسة هذه الماء والبالونات التي طلبتها .
- شكرا عمي تفضل الحساب ، جواد يجب ان اذهب الآن .
- حسنا ، لكن هل ما زلتم بالحي ذاته .
- اجل ، وداعا .
- الى اللقاء .

لا تبكي لا تبكي لا تبكي ..
هذا ما رددته في الطريق بين البيت والحديقة كان يجب ان افرح لأني اخيرا رأيت جواد ، لكن لما الآن في الوقت الذي اودع به الحياة ..

ولماذا حزنت الآن وكأنني فقط الآن تذكرت باني سأموت قريبا .. وعلمت بأن هناك فرح كبير يختبأ خلف كل حزن ، وهناك حزن صغير يولد مع كل فرح ..

كان لا بد من المرض ، لأذهب للمركز ، ليطلب طفل الزهور ، لأرى جواد .

سرت شاردة الأفكار ، لم اكن اعرف هل يجب ان افرح ام احزن ،
يا لأنانية البشر ، كنت احلم بصدفة طريق تجمعنا والآن أطلب المزيد .
ولكن ما به الفرح يأتي في الوقت الذي تصبح قلوبنا اضعف من احتوائه ..
عندما رأيته لم أتمنى الا أن يتوقف الوقت بي ، لا أريد رحيل ولا سفر ولا موت ولا وداع ..
ورغم عني سقطت دمعة لتوقظني من الاسى الذي حاصرني .
ايقظتني لأرى الزهور في يدي لتذكرني بأني يجب ان أكون قوية ،لأن هناك أشخاص ابتسامتهم تعتمد على بسمتي ، فابتسمت وعاهدت نفسي بأن أخبأ حبي فأن مت سيدفن معي ، وان عشت سأخبأه الى ان يأذن الله بحب من نوع اخر ، حب ابدي لا ينتهي لا فراق فيه ولا وداع ولا انتظار ولا خوف .

(9)

محفورة في ذاكرتي ،،

- ماذا تقرئين أمي ؟
- عن الحب ..
- أي حب ؟
- ذلك المختلط بين شوق وخيبة ..
- أمي ، هل انت سعيدة بأن والدي ترك لك مذكراته لتقرئيها مع انك عشتها معه لحظة بلحظة .
- كيف لا افرح ومع انني عشت معه معظم ذكرياته ، الا انني اكتشفت انه كان يعيش عالما اخرا في نفسه ، لم يعرفه الا الله وهو ، وها انا الان عرفته عندما قرأته ،، كم كان نبيلا حين اخفى حزنه في فرحي ، حين كان يعاني وحده ولا يخبرني ' وكم كنت بعيدة عنه عندما لم اشعر به .
- ليت الجميع يتعلم الوفاء منك ، لأربع سنوات لم اشعر ان ابي مات ، انت ما زلت تشعرين بوجوده ، وتشعريننا بذلك ..
- يارا يجب ان تعلمي امر مهم ، لا يوجد انسان يموت تماما ، كل شخص بعد موته يبقى محفورا في ذاكرة شخص ترك في حياته اثر كبير لدرجة انه عاش داخله ، يعيش في قلبه وكأنه لم يمت ، يموت فقط حين يموت الأخر ..
- امي أيمكن لعقلك ان يحفر فيه اكثر من شخص ، ابي وانا .
- لا قولي هذا فالحياة امامك ربما سيكون لي نصيب من ذاكرتك .

قررت ان اكتب ، اكتب لحياة كل ما حدث معي لتعلم كم كنت سعيدة قبل موتي ، كم افتقدها ، كم تمنيت وجودها بقربي ..
في تلك اللحظة التي تبدأ بها بالكتابة تحبها جدا ٬ لأنها الطريقة الوحيدة والمثلى للبوح بكل شيء .
كتبت كثيرا كل شيء حدث في الثلاثين يوم الماضية ، كتبت حتى تعبت يداي وتعبت اوراقي ونفذ الحبر من قلمي ، كنت مصرة ان اكتب كل شيء اليوم ،وكأنني شعرت بأني لن أكتب مجددا ..

- امي نفذ الحبر ،،
- يارا ، يارا استيقظي ، اطلبي الاسعاف بسرعة ..

اجل هذا ما حصل قبل دخولي المشفى .. والآن انتهت النصف ساعة اين الطبيب .. لماذا تأخر ..

- مرحبا انا الطبيب النفسي .
- اهلا .
- هل لي بأن اتحدث معك قليلا ..
- بالطبع تفضل .
- هل تعانين فراغ في حياتك .
- لا فأنا أملا وقتي دائما .
- اجل علمت انك تبقي نفسك مشغولة دوما ، لماذا .
- سعاتي أن أملأ وقتي لأنسى التعاسة والحزن ..
- أي حزن .
- كل شخص لديه هموم ..
- هموم تجعله ينتحر .
- هل تسمي اخذ علاج مخفف للألم انتحار ؟
- أي الم ، !!

- اعاني من ورم في رأسي .. الجميع بات يعلم الآن .
- أي ورم لقد اجرينا لك الفحوصات لمدة اسبع وانت لا تعانين من أي شيء ، فقط تعبت معدتك من الأدوية والأثار الجانبية لها ستعافين منها بعد فترة بسيطة .
- ماذا أأنت متأكد ، لا مستحيل ..

" لن اموت ، ولكن التحليل ، هل كتبت لي حياة جديدة ، ليس ٩٠ يوم فقط"

طبعا متأكد ، لقد وجدت امك في غرفتك التحاليل ، انها خاطئة عينة الدم ليست من دمك ، لا بد انه خطأ مخبري ، كان لا بد من التأكد ، كيف تحملت هذا الحزن لوحدك ،أي قلب قوي تملكين .

- لا لم يكن حزننا ، الحمد الله ان التحليل اخطأ تعلمت كيف اكون سعيدة بنفسي .
- اذن انت لم تحاولي الانتحار ؟؟
- لا . انا احب الحياة جدا ، وكنت اعلم بان الموت سيزورني بالوقت الذي كتبه الله لي لهذا امتنعت من العلاج ، لكن التحليل لمن ، لا بد من ان احد مريض وهو لا يعلم ..
- لا تقلقي ، المرض سيعرف فجسمه يبدو من التحاليل ضعيفا .
- الله يشفيه ..
- يا رب ..
- متى سأخرج كان لا بد من ان اقدم الزهور لأحد ..
- الطفل جواد ..
- اجل ، كيف عرفت ؟
- قرأت امك مذكراتك من باب الخوف عليك فقط .

- حسنا وكيف هو الآن هل هو بخير ، كان له عمليه قبل اسبوع ..
- ما رأيك أن تعرف يهذا بنفسك ؟
- حسنا .
- تفضلي غرفته بالطابق الرابع ..
- هل لي بجمه الزهور من حديقة المشفى له ..
- بالطبع لكن يجب ان يرافقك احد خوفا من ان تتعبي فأنت لم تشفي بعد .
- لا تقلق انا بخير الحمد الله .
-

بدأت بجمع الزهور للطفل هذه المرة الثانية في المرة الأولى جمعتني بجواد جاري الذي كنت فقدت الأمل من رؤيته ،واليوم يا ترى بمن ستجمعني .. أي صدفة خبأت خلف جمال الورد اليوم . بمن سألتقي .. ليتها تكون حياة .

(10)
تبادلنا الأدوار ،،

- اذا سمحت ، هناك طفل مريض بالسرطان كان له عملية قبل السبوع ، يدعى جواد بأي غرفة هو ..
- لحظة فقط ، انه بالغرفة في اخر الممر .. غرفة زجاجية .
- شكرا .

يا رب ان يكون جواد بخير ، لا اريد ان افقد فرحتي بأني لست مرضية ، اريد ان يحقق احلامه ، ان يبتسم دائما ، ان يركض دون ان يخاف من غيبوبة مفاجئة ..

- الى اين ؟
- اريد زيارة المريض .
- لا مستحيل استقر وضعه بالأمس ، لا بد ان يرتاح .
- هل هو بخير ، ارجوك دقيقة فقط سأقدم له الزهور وأخرج .
- هو يتيم ، هذا ما عرفته ، من انت ؟
- انا اعرفه ، سيفرح ان اتيت لزيارته .
- حسنا فقط دقيقة .
- بل ٦٠ ثانيه ، تبدو اطول هكذا .
- حسنا تفضلي .

ملاك نائم على سرير ، هل اوقظه ام اترك الزهور وأذهب، غرفته مليئة بالزهور من اين كل هذه وهو لا عائلة له .

جواد الطفل لم يترك فقط اثر في نفسي متأكدة من جميع من عرفه احب ابتسامته وعيناه الحزينتين ، ويداه الدافئة .

او ربما كل طفل يفقد عائلته ييسر الله له عائلة جديدة وحضن دافئ يحتويه .

فأنا سمعت بأن هناك أسرة حرمت من الأطفال ستكفله ، ليت قلبه لا يعرف الحزن بعد اليوم بعد الدموع التي بكاها ، سبحانك يا رب ما أعلمك بنا وما أكرمك ..

- يارا !
- اسفة هل ايقظتك ؟
- لا كنت اتظاهر بالنوم ، اريد ان اعرف من يجلب لي الزهور ، خفت ان لا تكوني من بينهم .
- اسفة تأخرت ، انظر لقد جلبت لك الكثير منها .
- ما اجمل رائحتها ، منعشة كثياب امي ..
- اصبح لك اسرة جديدة ؟
- اجل ، لن اكون وحيدا من اليوم .
- يا انسة ، يا انسة لقد انتهت الدقيقة يجب ان تتركيه يرتاح .
- جواد سأذهب الآن ، ان لم أراك بعد اليوم ، اذكرني كلما رأيت زهرة ،
- بل سأذكرك كلما ابتسمت من قلبي ..

خرجت من غرفته ، ولأول مرة لن اخاف عليه ، هناك حياة جديدة وطاهرة بطهر قلبه تنتظره ..

- من هنا بسرعة ، قلبها سيتوقف .
- اذا سمحت ماذا هناك ..
- هناك مريضة قلبها توقف تحت الأجهزة اثناء جراحة لورم في رأسها ..

شيء ما جعلني الحق بالممرضة ، خائفة كنت ان اجتمع بأحد في هذه الغرفة وعلى فراش الموت ، فأنا اشعر بأنني على موعد مع احد ما ..
- لقد فقدنا المريضة .
- كانت تحب الحياة ، لم يغادرها الأمل يوما ، لكن جسدها لم يتحمل ، كانت تشعر بأنها لن تعيش تسعين يوم كما قال الطبيب . اتصلوا بوالدتها ..

من هذه ، انا ايضا ظننت بأني سأموت قبل تسعين يوم ، يجب ان اكون انا من في هذه الغرفة ، لماذا ابكي انا لا أعرفها حتى .
- سيدتي هل لي بأن اراها .
- لقد ماتت ، هل تعرفينها .
- لا أعلم فقط اريد ان اعرف من هي.
- حسنا تفضلي ، بسرعة فبل ان نأخذها من هنا ..

أجل هذا ما كنت اخاف منه ، كنت لا اريد الموت في غرفة باردة تحت الأجهزة ، لم ارد نهاية كهذه ، أي وحدة شعرت بها وهي تأن بين اجهزة صماء لا تشعر

بها ، لكن ليس الجميع يموت هنا فجواد استطاع النجاة ، كل شيء مكتوب ومقدر ، لا اعرف كيف امتلكت الجرأة لأرفع الستارة عن وجهها ، يداي ترجفان لا انكر انني خفت ان تكوني انت يا حياة ، فشعوري تجاه هذه المريضة لم يكن عاديا ، شعرت بأني احبها ولا اريدها ان تموت .. او انني كنت سأكون مكانها ، هل هي من تبادلت فحوصاتي بفحوصاتها ، هل تبادلنا الأدوار حقا .. رفعت الستارة بعد صراع مع الخوف الذي عشعش في زوايا قلبي .

- مرحبا ادعى حياة جارتكم الجديدة .
- اهلا ، وانا يارا ، ما اجمل اسمك لا بد من انك ستعيشين طويلا ، تقول امي بأن لكل من اسمه نصيب ..
- امي تقول بأنها اسمتني هكذا لأزيد حياة الأخرين جمالا كما فعلت لها .
- ما هذا الجرح فوق عينك .؟
- لقد وقعت وانا صغيرة وترك اثر في نفسي .
- لا تحزني من خلاله سأستطيع معرفتك ولو بعد الف عام ، سأرافقك للمدرسة لا بد انك تجهلين مكانها ..

امسكت بيد حياة ولم نتفارق من يوما عشرة اعوام كنا كروح واحدة ..

- يا انسة ، هل تعرفينها .
- اجل ، انظري للجرح فوق عينها هكذا كنت اعرفها ..
- سنأخذها الآن عن اذنك ..
- لم انطق بكلمة واحدة كيف هل سلبت حياة حياتها ، لما ابعدتها عني ، لما لم تخبرني ، هل انا في حلم ،

ليتني لم استيقظ ، ليتنا رحلنا معا ، سقطت دموعي ، تلك التي خبأتها كي لا يراها احد ، بكيت على فراشها كشلال ماء ينساب فوق تربة جافة علها تحيا من جديد .

- يا انسة هل انت يارا ؟
- اجل لقد تركت لك هذه الرسالة ، كانت تذكرك كثيرا . هل انت بخير .

ركضت في الممرات وانا ابكي ، كنت متأملة ان اصطدم بجدار ، واستيقظ بعدها واجد حياة تعود من السفر ، تعاتبني لأني لم احادثها ، ونبدأ بالضحك بعد شجار طويل ..

" يارا ان كنت تقرئين هذه الرسالة الآن فأنا سأكون قد فارقت الحياة ، التي سميت باسمها ، عندما اتيت وأخبرتك بأني سأسافر كنت قد علمت بأن الفحوصات تبدلت ، وعندما اخفيتي عني مرضك الذي هو في الحقيقة مرضي ، علمت بأن قلب كقلبك لا يحب أن يمنح الآخرين سوى الفرح ، بقيت صامتة ، وقررت ان اخفي بأني انا المريضة ، لكن لم اكن بقوتك لأمتنع عن العلاج الكيماوي ، او العمليات ، اردت ان اجعلك تواجهين مخاوفك ، الموت اكثر ما كنت تخافينه ، اردت ان تقتربي منه لتعرفي معنى الحياة ٬ لتسعي لحلمك ، لتقتربي من ذاتك التي نسيتها وانت تسعدين من حولك ، اردت ان تري الحياة بعدسة الجمال الذي في داخلك ، وشعرت بأن القدر خبأ لك لحظات طالما تمنيتها ،، لا اريدك ان تحزني علي فقد كنت سعيدة وانا في مركز العلاج وانا اراك تسعدين الأطفال هذا كان حلمك ، كنت اراقبك دائما من خلف نافذة الغرفة

المغلقة التي لطالما تمنيت دخولها وتطمئنين على من فيها ، وكأنك شعرت بي حتى وانا ابعدك عني ، كان لا بد ان تقتربي من الموت كي تعيشي كما تحبين ، اعلم بأنك عرفت بأن الحياة تافهة ، لذا لا تحزني ابد ، الحب والصداقة ، التعاسة ، والفرح كل شيء مقدر لنا ، يجب ان نسير على جراحنا لنداويها ، لن اطلب منك ان لا تنسيني فأنا اعلم بأنك لن تفعلي ، فقط اريد ان تزوريني كلما امطرت لتغتسل ارواحنا معا ، افرحي وأحبي الحياة كما أحبتك .. "

لم اتوقف عن زيارة قبر حياة ولن افعل ، حياة زرعت في نفسي حب الحياة وسرقتها الحياة مني ،،

- في كل مرة كنت ازور قبرك وحدي لكن اليوم هناك ضيف يريد ان يراك ، جواد أتذكرينه لقد جاء لخطبتي بعد ٦ اشهر من وفاتك ، اخبرته عنك كثيرا فأراد زيارتك ..
- يارا هيا بنا السماء ممطرة ، لا أريد ان تمرضي .
- لا تقلق المطر جزء منا لا يمرضنا ، اليس كذلك يا حياة ..
- جواد أتعلم في اللحظة التي كنت ستمد يدك ، لم أكن سأمسكها ان لم تكن ستأخذنا للجنة ..

لم تمت حياة كليا فهي عاشت بذاكرتي وبروحي وبكل مرة الفظ بها اسمها ،، فلكل من اسمه نصيب ، وكان لها النصيب الأصغر من اسمها .

النهاية..

بقلم : ياسمين المشني ..

https://www.facebook.com/yasmeen.ali.12576049?hc_location=timeline